علم التجويد
قبل كتاب الرعاية وكتاب التحديد
من (الكتاب الأوسط) للعماني

أ. د. غانم قدوري الحمد*
الأستاذ بكلية التربية بجامعة تكريت بالعراق

* من مواليد تكريت بالعراق عام ١٩٥٠م.
* نال درجة الماجستير في علم اللغة من جامعة القاهرة عام ١٩٧٦م بأطروحته "رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية". كما حصل على درجة الدكتوراه في اللغة العربية من جامعة بغداد عام ١٩٨٥م بأطروحته "الدراسات الصوتية عند علماء التجويد"، والرسالتان مطبوعتان.
* له مؤلفات وبحوث وتحقيقات عديدة، منها: تحقيق كتاب "التحديد في الإتقان والتجويد" لأبي عمرو الداني، و " التمهيد في علم التجويد" لابن الجزري.
* البريد الإلكتروني: hamad1370@yahoo.co.uk

الملخص

ظهر في أول القرن الرابع الهجري مصطلح "التجويد" للدلالة على إتقان تلاوة القرآن، وصار بعد ذلك عنواناً للعلم الذي يُعْنَى بدراسة مكوِّنات النطق ووسائل تحسين الأداء، وشهد القرن الخامس الهجري تأليف أول كتابين جامعين في علم التجويد ، هما : كتاب (الرعاية) لمكي (ت٤٣٧هـ) ، وكتاب (التحديد) للداني (ت٤٤٤هـ) .

وليس لدينا معلومات وافية عن الحقبة التي تطور فيها هذا العلم ، والتي تمتد من تاريخ ظهور مصطلح (التجويد) إلى ظهور أول المؤلفات الجامعة فيه، ويكشف الكتاب " الأوسط " للعماني، الذي أَلَّفَهُ سنة ٤١٣هـ بعض جوانب تلك الحقبة، ويلقي الضوء على بدايات تكوُّن هذا العلم وتميز الموضوعات التي يدرسها، وذلك في (باب التجويد والحث عليه) الذي كتبه العماني في أول الكتاب .

ويهدف هذا البحث إلى بيان الدلالة التاريخية لباب التجويد في الكتاب على تطور التأليف في هذا العلم في مراحله الأولى ، وذلك من خلال المباحث الآتية :

(١) تعريف موجز بالمؤلف .

(٢) موضوعات التجويد في الكتاب .

(٣) الدلالة التاريخية لمادة باب التجويد في الكتاب .

وانتهى البحث بخاتـــمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها .

مقدمة

الحمدُ لله رَبِّ العالمينَ ، والعاقبةُ للمتقين، ولا عـدوانَ إلا علـى الظـالمين، والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين ، وبعد :

فقد صَدَرَ قبل مدة الكتاب "الأوسط في علم القـراءات" للإمـام أبي محمـد الحسن بن علي بن سعيد المقرئ العماني[١] ، الذي أَلَّفَهُ سـنة ٤١٣هـ[٢] ، ولَفَـتَ نظري تصديره بباب في (التجويد والحث عليه) ، وبالنظر في سنة تأليف الكتـاب يتضح أن تاريخ كتابة هذا الباب يسبق تاريخ تأليف أول كتابين جامِعَيْنِ في علـم التجويد ، وهما كتاب (الرعاية لتجويد القراءة) لمكي بن أبي طالـب القيـسي (ت٤٣٧هـ) ، الذي أكمل تأليفه سـنة ٤٢٠هـ ، وكتـاب (التحديـد في الإتقـان والتجويد) لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ) الذي أَلَّفَه في حدود ذلـك التاريخ ، أو بعده بقليل.

ويُلْقِي (باب التجويد) في الكتاب (الأوسط) للعماني الضوء علـى المرحلـة الأولى التي تَشَكَّلَ فيها علم التجويد واتضحت فيها معالمه في القرن الرابع الهجري، ومهَّدت لانفصاله عن علم القراءات ، وظهور المؤلفات المستقلة الجامعة فيـه ، في القرن الخامس الهجري .

وكنت قد بحثت عن تاريخ علم التجويد في القرن الرابع الهجري لاستجلاء صورته في هذه المرحلة، واستقصيت ما كان متاحاً من النـصوص والـشواهد

---

(١) صدر عن دار الفكر في دمشق رجب ١٤٢٧هـ =آب٢٠٠٦م ، بتحقيق الأستاذ الدكتور عزة حسن، ويبدو أن الكتاب كان قد طبع طبعة أخرى بعنوان (القراءات الثماني للقرآن الكريم) ، تحقيـق إبـراهيم عطوة عوض وأحمد حسين صقر ، نشر المجموعة الصحفية للدراسات (ينظر : المرشد في الوقف والابتـداء ص٤٢ ، تحقيق محمد بن حمود بن محمد الأزوري) لكن هذه الطبعة لم تشتهر بين الدارسين.

(٢) ينظر: الكتاب الأوسط ص٦٢.

التاريخية، في البحث الموسوم " علم التجويد نشأته ومعالمه الأولى " لكن ذلك لكن ذلك البحث لم يكشف عن جميع الجوانب المتعلقة بالموضوع[1] ، وأحسب أن تحليل مادة هذا الباب يمكن أن تكشف عن بعض الجوانب الخفية من هذه الحقبة ، مما يُسَوِّغ إعادة دراسة الموضوع من جديد.

وسوف أتناول الموضوع من خلال المباحث الآتية :

(١) تعريف موجز بالمؤلف.

(٢) موضوعات التجويد في الكتاب الأوسط.

(٣) الدلالة التاريخية لمادة باب التجويد في الكتاب الأوسط.

وليس من منهج هذا البحث مناقشة الآراء التي أوردها العماني في الكتاب إلاَّ بالقدر الذي يتعلق بتحقيق هدف البحث ، وهو الوقوف على الدلالة التاريخية لبعض النصوص الواردة في الكتاب، مما له علاقة بنشأة علم التجويد وتميز الموضوعات الخاصة به ، للفت نظر الدارسين إلى أهمية الكتاب الأوسط في البحث عن الخطوات الأولى في اتجاه ظهور علم التجويد، وفي تحقيق نسبة بعض التعريفات والأقوال إلى مصادرها الحقيقية ، والله ولي التوفيق، هو حسبنا ونعم الوكيل.

تكريت

٧/ربيع الثاني/١٤٢٨هـ

٢٤/٤/٢٠٠٧م

---

(١) منشور في مجلة كلية الشريعة بجامعة بغداد ، العدد السادس ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م ، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٤٦٠-٤٦٦، وأبحاث في علم التجويد (ص ٩-٧٥).

المبحث الأول

تعريف بالعماني مؤلف الكتاب الأوسط

لم يحظ العماني بترجمة وافية في كتب التاريخ والطبقات ، فلم يترجم له إلاَّ ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) في كتابه (غاية النهاية في طبقات القــراء) ترجمــة موجزة لم تكشف عن أسماء شيوخه في القراءات ولا عن تلامذته ، وقد اعتمد مَن ترجم له بعد ذلك على ما ذكره ابن الجزري.

ويُقَدِّمُ (الكتاب الأوسط) معلومات مهمة عن حياة العماني ، وإن كانت لا تكشف عن كل جوانب حياته ، ولا تجيب عن جميع الأسئلة التي تثار حول ترجمته.

ويُقَدِّمُ (الكتاب الأوسط) معلومات مهمة عن حياة العمـــاني ، وإن كانت لا تكشف عن كل جوانب حياته ، ولا تجيب عن جميع الأسئلة الـــتي تثار حول ترجمته.

ويمكن تقديم تعريف موجز بحياة العماني ، من خلال المصادر المتيسرة، ومن خلال كتابه: الكتاب الأوسط في القراءات.

أوَّلاً : العماني من خلال المصادر

لم يكن ابن الجزري أقدم مَن ذَكَرَ العماني ، لكنه أقدم مَن ترجم له ، بحسب ما اطلعت عليه من المصادر ، وسوف أنقل ترجمته عند ابن الجـــزري بعد أن أشير إلى النصوص التي ورد فيها ذكره ، وهي :

١. **أحمد بن أبي عمر الأندرابي الخراساني** (ت٤٧٥هـ) ، الذي قال في كتابـــه (الإيضاح في القراءات) في باب الوقف والابتداء: «وقال أبو محمد الحسن بن

علي بن سعيد المقرئ -رحمه الله-: الوقوف على خمس درجات... قال: فأما نحن فقد ميَّزنا بينها ورتبنا لها مراتب... قال: والمستحب للقارئ أن يقف على التمام... انتهى كلامه»[1].

والراجح أن الأندرابي نقل كلام العماني هذا من كتابه (المرشد في الوقف والابتداء).

٢. **محمد بن طَيْفُورَ السَّجَاوَندي** (ت٥٦٠هـ) في كتابه (الوقف والابتداء) ، أشار في مقدمته إلى العماني من غير أن يصرح باسمه ، حيث قال: « فممن اشتهر منهم بالبراعة في هذه الصناعة ... صاحب (المرشد) الإمام المسلَّمُ في زمانه ، الطائعُ الطبيعة في مبالغة التعبير ، الرائع الصنيعة في معاودة التقرير... كان مبدعاً في كل وادٍ حَذَرَ التقصير»[2].

٣. **علم الدين علي بن محمد السخاوي** (ت٦٤٣هـ) في كتابه (جمال القراء وكمال الإقراء) في باب معرفة الوقف والابتداء ، حيث قال: « وقال أبو محمد ، الحسن بن علي بن سعيد ، المعروف بالعُمَاني ، في قوله عز وجل :﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ [البقرة:٨١] ، ونحوه: يُـبْتَدَأُ بـ(بلى)... والذي قاله غلط... »[3]. وليس الغرض هنا مناقشة الموضوع المشار إليه ، وإنما الإشارة إلى من ذكر العماني ونقل عنه.

ونقل علم الدين السخاوي نصوصاً أُخرى صَرَّحَ فيها باسم العماني ،

(١) الإيضاح ص٥٦٣، والنص في المرشد للعماني (تحقيق هند بنت منصور) ص ١٢-١٣.

(٢) كتاب الوقف والابتداء ص١٠٣-١٠٤.

(٣) جمال القراء ٢/٥٧٤-٥٧٥، والنص المشار إليه في المرشد (ص ٢٣١).

وافقه في بعضها وناقشه في أُخرى ، لا يتسع المقام لإيرادها[(١)].

أما ترجمة العُمَاني عند ابن الجزري فنصها :

« الحسن بن علي بن سعيد ، أبو محمد العُمَاني المقرئ ، صاحب الوقف والابتداء ، إمامٌ فاضلٌ محقِّقٌ ، له في الوقف كتابان:

أحدهما" (...)[(٢)].

والآخر: المرشد ، وهو أَتَمُّ منه ، وأبسطُ ، أحسنَ فيه وأفاد ، وقد قسَّم الوقف فيه إلى التام ، ثم الكافي ، ثم الصالح ، ثم المفهوم ، وزعم أنه تبع أبا حاتم السجستاني[(٣)].

وقد كان نزل مصر ، وذلك بُعَيْدَ الخمس مئة.

ولا أعلم على مَن قرأ ، ولا مَن قرأ عليه ، غير أن السخاوي ذكره في فصل الوقف من كتابه (جمال القراء)[(٤)] ، وأنكر عليه منعه الوقف على قوله: ﴿كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ [السجدة:١٨] ، مع أنه أجاز الوقف على: ﴿كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ﴾ [التوبة:١٩] ، وأجاز الابتداء بـ﴿يَسْتَوُۥنَ﴾[(٥)] ، ولا فرق

---

(١) ينظر : جمال القراء ٢/٥٨٦ و٥٨٨ و٥٩٦ و٦٢٣-٦٢٥ و٦٣٦.

(٢) بياض في الأصل ، وقد صرح العماني باسمه في كتابه المرشد (تحقيق هند العبدلي ص١) ، وسماه : (المغني في معرفة وقوف القرآن) .

(٣) أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني البصري، إمام البصرة في النحو والقراءة واللغة، توفي سنة٢٥٠هـ (ينظر: ابن الجزري: غاية النهاية ١/٣٢٠).

(٤) جمال القراء ٢/٥٨٨-٥٨٩.

(٥) في الآيتين : في السجدة ١٨: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾.

وفي التوبة ١٩: ﴿كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

بينهما» [1].

ولا تزيد هذه الترجمة على ما نعرف من اسمه وكنيته ولقبه شيئاً، فاسمه : الحسن بن علي بن سعيد، وكنيته: أبو محمد، ولقبه (العُمَانِيُّ) [2].

وهي لا تقدم بعد ذلك شيئاً عن شيوخه ولا تلامذته ، ولكنها تثير إشكالاً حول نزوله مصر بُعَيْدَ الخمس مئة ، على نحو ما سيتبين عند النظر في المعلومات الواردة في (الكتاب الأوسط) ، وقد اعتمد مَن ترجم للعماني من المحدثين على ما ذكره ابن الجزري [3].

ثانياً:العماني من خلال الكتاب الأوسط في القراءات

أصدق المصادر عن الشخص حديثه عن نفسه ، ومع أن العُمَاني كان مقتصداً في الحديث عن الأسانيد في الكتاب الأوسط ، فقد قال: « وقد

(١) غاية النهاية ٢٢٣/١.

(٢) لم يَضْبِطْ أكثرُ الكتب التي ذكرت العماني هذه النسبة ، وقد ضبطها كل من عمر رضا كحالة والدكتور عزة حسن بضم العين وتخفيف الميم ، نسبة إلى (عُمَان) بساحل بحر العرب (ينظر:معجم المؤلفين ٢٥٤/٣، والكتاب الأوسط ص٣٧ ، وتنظر كذلك ص٦٢) ، واختلف محققا كتاب المرشد في الوقف للعماني في ضبط اسمه فرجحت هند بنت منصور بن عون العبدلي ضبط (العماني) بفتح العين وتشديد الميم نسبة إلى (عَمَّانَ) بأرض البلقاء من الشام (ينظر : المرشد ص ٢٨) ، ورجَّح محمد بن حمود الأزوري (ينظر : المرشد ص٤٢) ضبط الاسم بضم العين وفتح الميم من غير تشديد ، نسبة إلى (عُمَانَ) وترجح عندي هذا الضبط .(ينظر: ابن الأثير: اللباب ٣٥٦/٢ ، وياقوت الحموي : معجم البلدان ١٥٠/٤-١٥٢ ، وصفي الدين البغدادي: مراصد الاطلاع ٩٥٩/٢).

(٣) ينظر: عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ٢٥٤/٣ ، ووليد بن أحمد الحسين: الموسوعة الميسرة ٦٩٦/١.

أضربتُ عن التطويل في الأسانيد» (١) ، لكنه ذكر معلومات مهمة عن طلبه العلم وشيوخه، وتواريخ مهمة عن مراحل في حياته، ومواضع زارها أو أقام فيها.

١.مواضع وتواريخ مهمة في حياته :

كانت عُمَانُ مُسْتَقَرَّهُ ومَوْطِنَهُ، كما صرَّح بذلك(٢)، وغادرها سنين لطلب العلم، ويبدو أنه بدأ رحلته العلمية بالبصرة ، فقرأ على شيخها وإمام جامعها أبي عبد الله اللالكائي سنة ٣٩٢هـ(٣) ، ولم يزل يقرأ على الشيوخ حتى دخل الأهواز، وهي كورة عظيمة بين البصرة وبلاد فارس(٤). فقرأ بها على شيخه أبي الحسن الكُرَيْزِيِّ مدة سنتين، ثم عاد إلى عُمان وأقام فيها سنوات(٥).

وغادر عُمَان ثانية سنة ٤٠٤هـ ، وكان يرجو أن يعود إليها ، لكن لم يتحقق له ذلك حتى سنة ٤١٣هـ ، وهي سنة تأليف هذا الكتاب(٦).

وهناك ما يشير إلى أنه ألَّف الكتاب الأوسط في سِجِسْتَانَ ، وهي ولاية واسعة، جنوبي هَرَاة، من خراسان(٧). فقال في مقدمة الكتاب: «قال أبو محمد الحسنُ بن عليٍّ بن سعيد المقرئُ العُمَاني ، وفَّقَه الله لطاعته: هذا كتابٌ شرعتُ

(١) الكتاب الأوسط ص٦٦.

(٢) المصدر نفسه ص٦٢.

(٣) المصدر نفسه ص٦١.

(٤) ينظر: صفي الدين البغدادي: مراصد الاطلاع ١/١٣٥.

(٥) الكتاب الأوسط ص٦٢.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) ينظر: صفي الدين البغدادي: مراصد الاطلاع ٢/٦٩٤.

في وضعه وتصنيفه لشيخنا أبي الحسن علي بن زيد بن طلحة... فرَغْبَتُهُ ورغبةُ أصحابنا القرَّاءِ بسِجِسْتَانَ ، ومسألتهم إيَّانا ، نشَّطتنا في وضع كتابنا هذا»[(١)].

٢ . شيوخه:

ليس لدينا ما يُوضِحُ نشأة العماني ، أو يُبَيِّنُ جهوده الأُولى في التحصيل العلمي ، قبل خروجه إلى البصرة سنة ٣٩٢هـ ، ولم يعرف ابن الجزري أحداً من شيوخه ولا تلامذته ، ولكن العماني ذكر في الكتاب الأوسط أربعة من شيوخه ، منهم من وقفت على ترجمة له ، ومنهم مَن لم أجد له ترجمة في ما اطلعت عليه من المصادر ، وهم ، مرتبين على حسب ذكرهم في الكتاب :

١- أبو الحسن علي بن زيد بن طلحة ، الذي ألَّف العمانُّي الكتاب بناء على رغبته ، كما مرَّ في الفقرة السابقة ، وقد وصفه العماني بعنايته بكتاب الله تعالى وبتلامذته ، والبحث عن علومه ، مع الاهتمام بذويه[(٢)] ، ورجَّح الدكتور عزة حسن ، محقق الكتاب الأوسط ، أن يكون هذا الرجل من أولي الأمر والسلطان في إقليم سِجِسْتَانَ[(٣)] . ولم أقف له على ترجمة أو ذكر في المصادر التي بحثت فيها عنه[(٤)] ، ولم يذكر العماني أنه قرأ عليه.

٢- أبو عبد الله اللالكائِيُّ ، قال العماني: « وهذه القراءات التي ذكرتها ووجوهها قرأتها على جماعة مختلفين، فمنهم من قرأت عليه القراءة والقراءتين،

---

(١) الكتاب الأوسط ص٣٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص٣١.

(٤) ترجم ابن الجزري في غاية النهاية (٥٤٦/١) لأبي الحسن علي بن طلحة بن محمد البصري ثم البغدادي ، المتوفى سنة ٤٣٤هـ عن ثلاث وثمانين سنة ، وليس لديَّ ما يشير إلى أنه هو شيخ العماني.

ومنهم من ختمت عليه القراءة الواحدة ختمةً أو ختمتين ، ومنهم من عرضتُ عليه بعض العرضة ، وهو أبو عبد الله اللالكائي، إمام جامع البصرة ، ومقرئ أهلها، رحمه الله، قرأت عليه سنة اثنتين وتسعين وثلاث مئة بحرف أبي عمرو، و لم أختم عليه ، قرأ على أبي بكر الشَّذَّائي ، عن ابن مجاهد... »[١].

والراجح أن اللالكائي[٢] هذا هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن يعقوب العجلي، الذي ترجم له الذهبي ترجمة موجزة في كتابه (معرفة القراء)، وقال عنه: «لا يُعْرَفُ» [٣] ، لكن ابن الجزري ترجم له في (غاية النهاية) ترجمة أوفى منها ، وذكر أنه « صاحب القصيدة الرائية » ، التي عارض بها قصيدة أبي مزاحم الخاقاني[٤] ، ورواها عنه الأهوازي[٥] في البطائح[٦] سنة ست وثمانين وثلاث مئة ، وأوَّلُها :

لك الحمدُ يا ذا المَنِّ والجودِ والبِرِّ كما أنت أهلٌ للمحامدِ والشكرِ[٧]

و لم يذكر تاريخ وفاته .

---

(١) الكتاب الأوسط ص٦١.

(٢) نسبة إلى بيع اللَّوَالِك التي تُلْبَسُ في الأرجل (ينظر: ابن الأثير: اللباب٣/١٠٤).

(٣) معرفة القراء ٢/٦٤٨.

(٤) موسى بن عبيد الله بن يحيى الخاقاني البغدادي ، المتوفى سنة ٣٢٥هـ ، له قصيدة قالها في حسن أداء القرآن ، قال عنها ابن الجزري في غاية النهاية بأنها أول مصنف في التجويد ، وهي مطبوعة ، وتتألف من واحد وخمسين بيتاً ، (ينظر: ابن الجزري: غاية النهاية ٢/٣٢١).

(٥) أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الأهوازي ، قال عنه ابن الجزري: صاحب المؤلفات ، شيخ القراء في عصره ، وكانت وفاته بدمشق سنة ٤٤٦هـ (غاية النهاية ١/٢٢٠).

(٦) البطائح: أرض واسعة بين واسط والبصرة (ينظر: صفي الدين البغدادي: مراصد الاطلاع ١/٢٠٦).

(٧) غاية النهاية ١/٥٨-٨٦ .

٣- أبو الحسن بن بَنْدُوِيَهْ ، قال العماني بعد أن ذكر أنه قرأ على اللالكائي قراءة أبي عمرو: « وعرضت هذه القراءة بعينها مرات كثيرة على أبي الحسن ابن بَنْدُوِيَهْ، قرأ على ابن الإمام(١)،على أبي بكرٍ أحمد بن موسى بن مجاهد...»(٢)، و لم أقف له على ترجمة أو ذكر في المصادر التي اطلعت عليها.

٤- أبو الحسن الكُرَيْزِيُّ(٣) ، قال العماني: « ثم لم أزل أقرأ على الشيوخ ، حتى دخلت الأهواز ، فظفرت بأبي الحسن محمد بن محمد الكُرَيْزِيِّ البصري ، رحمه الله ، فعلَّقتُ عنه هذه القراءات بوجوهها ورواياتها وطرقها في ثلاث مئة وخمسين ورقة ، في مدة سنتين... ثم قلتُ له: أفلا تُعَرِّفُني شيوخَك الذين أخذتها عنهم! فدفع إلينا صحيفة شحنها أسماء أُستاذيه وشيوخه...» (٤).

وقد روى العماني أكثر القراءات السبع عن شيخه الكُرَيْزِيّ(٥)، و لم أجد ترجمة للكريزي في المصادر التي اطلعت عليها(٦) .

ولاشك في أن العماني أخذ عن شيوخ آخرين لم يذكرهم في الكتاب الأوسط، فقد قال فيه: « ثم لم أزل أقرأ على الشيوخ حتى دخلت الأهواز» (٧).

---

(١) أحمد بن العباس بن عبد الله ، أبو بكر البغدادي ، نزيل خراسان ، توفي سنة ٣٥٥هـ (ينظر: غاية النهاية ١/٦٤).

(٢) الكتاب الأوسط ص٦١.

(٣) الكُرَيْزِي: نسبة إلى كُرَيْز بن ربيعة ، من بني عبد مناف (ينظر: ابن الأثير: اللباب ٣/٩٥).

(٤) الكتاب الأوسط ص٦٢.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ٦٣-٦٦ .

(٦) وجدت أن أبا عبد الله محمد بن الحسين بن محمد الكارزيني يشارك أبا الحسن الكريزي شيخ العماني في كثير من شيوخه (ينظر: ابن الجزري: غاية النهاية ٢/١٣٢) .

(٧) الكتاب الأوسط ص٦٢ .

وقال: «وقد أضربت عن التطويل في الأسانيد»، وورد في كتاب المرشد ذكـــر بعض هؤلاء الشيوخ [١] .

٣. مؤلفاته:

ذكر ابن الجزري كتابين للعماني في الوقف ، حيث قـــال: « لـــه في الوقف كتابان: أحدهما (بياض في الأصل) والآخر المرشد ، وهـــو أتم منـــه وأبسط ، أحـــسن فيـــه وأفاد» [٢] . واسم الكتاب الذي أغفل ابن الجزري ذكر عنوانه هو (المغني) ، كما صرح بذلك العماني في أول كتابه المرشد ، بقوله : « فلما وقع الكتاب الموسوم بالمغني في معرفة الوقوف».

وذكر الزركشي أن العماني أحد الذين صنفوا في الوقف والابتـــداء ، لكنه لم يُسَمِّ كتابه[٣] ، وكذا فعل السيوطي[٤] ، واختصر الـــشيخ زكريـــا الأنصاري كتاب (المرشد) ، وقال في مقدمته: « وبعد فهذا مختصر المرشد في الوقف والابتداء الذي ألفه العلامة أبو محمد الحسن بن علي بن سعيد العماني ... وسميته المقصد لتلخيص ما في المرشد » [٥] ، وذكره حاجي خليفة باســـم (المرشد في الوقف والابتداء)[٦] .

---

(١) ينظر : المرشد (تحقيق هند العبدلي) ص٢٩.

(٢) غاية النهاية ١/٢٢٣ . وسبقت الإشارة إلى أن كتاب العماني الآخر في الوقف هـــو : المغـــني في معرفة الوقوف (ينظر هامش رقم ٢ ص١٧٠).

(٣) البرهان ١/٣٤٢ .

(٤) الإتقان ١/١٨و٢٣٠ .

(٥) المقصد ص٤ .

(٦) كشف الظنون ٢/١٦٥٤ .

ومن مؤلفات العماني (الكتاب الأوسط في القراءات) ، وهو الكتاب الذي أشرت إليه في مقدمة هذا البحث ، ونقلت منه في الصفحات السابقة ، وذكر العماني في ثناياه أنه بصدد تأليف كتاب آخر في القراءات هو أتم من الكتاب الأوسط ، سمَّاه (الكتاب الجامع)[1] ، لكن لم يرد ذكر لهذا الكتاب في المصادر التي اطلعت عليها ، كما لم يرد ذكر الكتاب الأوسط أيضاً .

ويبدو أن من منهج العماني تأليف كتابين في العلم الواحد : كتابٍ مُفَصَّلٍ ، وآخرَ مُوجَزٍ ، على نحو ما فعل في علم الوقف والابتداء ، وكما ألمح في علم القراءات ، ويكون العماني بذلك قد ألَّف أربعة كتب في الأقل .

٤ . وفاة العماني:

ليس هناك ما يشير إلى سنة ولادة العماني ، ولم يتفق المؤرخون على تحديد سنة وفاته ، فابن الجزري يقول: « وقد كان نزل بمصر ، وذلك بُعَيْدَ الخمس مئة» [2]. وذكر حاجي خليفة أنه توفي في حدود سنة ٤٠٠هـ[3]، ولاشك في أن كلا التاريخين لا يتوافق مع ما ورد في الكتاب الأوسط من تواريخ تتعلق بحياة العماني.

خَرَجَ العماني إلى البصرة وقرأ على شيخه أبي عبد الله اللالكائي سنة ٣٩٢هـ، وعاد إلى عُمَان بعد تلك المرحلة، ثم غادرها مرة أخرى سنة٤٠٤هـ ، وألَّف الكتاب الأوسط سنة ٤١٣هـ[4].

---

(١) الكتاب الأوسط ص٤٠و١٦٦و٣٢٦، وقد أشار إليه العماني في كتابه المرشد (ينظر : ص٤٣ تحقيق هند العبدلي).

(٢) غاية النهاية ١/٢٢٣.

(٣) كشف الظنون ٢/١٦٥٤.

(٤) ينظر: الكتاب الأوسط ص٦١-٦٢.

ويتضح من ذلك عدم دقة التاريخ الذي ذكره حاجي خليفة لوفاته، كما أن دخوله مصر بُعَيْدَ الخمس مئة، كما ذكر ابن الجزري أمر مـــشكوك فيه، لأنه إذا كان قد خرج من موطنه عمان سنة ٣٩٢هـ ، وركب البحر إلى البصرة، طلباً للعلم، فلا شك في أن عمره كان لا يقل عن خمس عشر سنة، ويترتب على ذلك أن عمره وقت دخوله مصر كان لا يقل عن ١٢٥ســـنة ، وهو أمر مستبعد جداً.

ولا نعلم بعد ذلك هل رجع المؤلف إلى موطنه عُمان ، أو أقـــام في سجستان ، أو دخل مصر في وقتٍ ما ، ولا نعلم على وجه اليقين متى كانت وفاته ، وأين كانت منيته(١)، وعسى أن تكشف الأيام ما يبين ذلك .

(١) ينظر: عزة حسن: مقدمة تحقيق الكتاب الأوسط ص٢٩.

المبحث الثاني

موضوعات التجويد في الكتاب الأوسط

قال العماني في مقدمة الكتاب: «... وهو كتاب يشتمل على علم القراءات ، ومعرفة وجوه الروايات... وسميته الكتاب الأوسط في علم القراءات»[1]، وهو في قراءات القراء الثمانية ، السبعة المشهورين وإضافة يعقوب البصري إليهم.

وذكر العماني في الجزء الأول من الكتاب أبواباً وفصولاً عن أصول القراءات ومذاهب القراء فيها ، مثل الإدغام والهمز والإمالة ، مع أبواب عن عدد سور القرآن وآياتها وحروفها ، وأبواب أخرى في موضوعات عامة لها صلة بالقرآن أو القراءات ، ثم قال في آخر هذا الجزء : « فهذا ما وجب تقديمه من ذكر الأصول وتحريرها ، وإيراد توابعها التي لا يستغني القارئ عنها ، بل يفتقر إلى معرفتها ، ونبتدئ الآن بذكر الفرش ، واختلاف القراء فيها ، إن شاء الله ، وبه الثقة »[2]. والجزء الثاني من الكتاب مفقود كما صرَّح بذلك محققه[3].

وذكر محقق الكتاب الأوسط أن الكتاب هو أول كتاب في هذا العلم عمل فيه صاحبه أبواب أصول القراءات قبل فرش الحروف من آي القرآن التي اختلف في قراءتها أئمة القراء ، وكان العلماء قبل الإمام العماني يوردون

(١) الكتاب الأوسط ص٣٩-٤٠.

(٢) المصدر نفسه ص٦٢٨.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص٦٢٩ هامش١.

القراءات خلال فرش الحروف ، كلما عرضت مسألة من مسائل الأصول ، أو دعت الحال لبيان قاعدة من قواعدها ، على نحو ما نجد في كتاب (السبعة في القراءات) لابن مجاهد (ت٣٢٤هـ) وكتاب (المبسوط في القراءات العشر) لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران (ت٣٨١هـ)(١).

وأدرج العماني موضوع (التجويد) في أبواب الأصول التي جعلها في الجزء الأول من الكتاب ، تحت عنوان (باب في التجويد والحث عليه)(٢).

وتلزم الإشارة هنا إلى ملاحظتين ، قبل الحديث عن موضوعات هذا الباب ، وهما:

الملاحظة الأولى: أن "علم التجويد" لم يكن قد تميَّز بمصطلح خاص به في القرن الرابع الهجري ، وإن كان هذا المصطلح قد ظهر في كتابات العلماء في هذا القرن على نحو ما سنوضح في المبحث الآتي ، عند الحديث عن الدلالة التاريخية لمادة هذا الباب.

و**الملاحظة الثانية:** أن "علم التجويد" لم يكن قد انفصل عن علم القراءات في هذه الحقبة التي ظهر فيها الكتاب الأوسط للعماني ، بل كانت مباحثه موزعة بين كتب القراءات وكتب علماء اللغة العربية.

وموضوعات التجويد الأساسية ثلاثة ، هي: مخارج الحروف ، وصفات الحروف ، والأحكام الصوتية الناشئة عن التركيب ، وقد جعلها

---

(١) ينظر: مقدمة محقق الكتاب الأوسط ص٣٠، وذكر ابن الجزري في غاية النهاية (٥٥٩/١) أن علي بن أحمد الدارقطني (٣٨٥هـ) هو أول من وضع أبواب الأصول قبل الفرش.(نبَّه على ذلك المحكَّم جزاه الله خيراً).

(٢) الكتاب الأوسط ص٧٢.

الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ) أربعة فأضاف إليها رياضة اللسان ، حيث قال: « اعلم أن تجويد القراءة يتوقف على أربعة أمور:

أحدها: معرفة مخارج الحروف.

والثاني: معرفة صفاتها.

والثالث: معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الأحكام.

والرابع: رياضة اللسان بذلك وكثرة التكرار» (١).

ومع أن معالم علم التجويد وموضوعاته الأساسية لم تكن قد تحددت في عصر العماني إلا أن الدارس يجد أنه قد ألمَّ بها في الباب الذي خصصه للتجويد ، وإن كان ذلك بترتيب آخر ، فبدأ بالحديث عن التجويد وتعريفه ، وبيان ما يلزم تجويده من الحروف ، وذلك في باب التجويد والحثِّ عليه (ص٧٢-٨٠) ثم تحدث عن المخارج والصفات في باب آخر بعده (ص٨١-٩٠) ثم أتبع ذلك بفصل في ذكر حروف لابد للقارئ من معرفة أقسامها ، فذكر الألفات ، واللامات ، والهاءات ، وأنواع (ما) ، وكَلاَّ ، وذكر حروفاً ربما همزها القارئ ، كما تضمنت الأبواب التي ذكر فيها العماني أصول القراءات مسائل تتعلق بعلم التجويد.

وسوف أذكر أهم ما ورد في الكتاب من موضوعات علم التجويد من خلال استعراض ما ورد في الأبواب والفصول التي أشرت إليها مما له علاقة بعلم التجويد.

---

(١) المفيد في شرح عمدة المجيد ص٣٩ ، والواضحة في شرح تجويد الفاتحة (له)ص٣٠.

أولاً: ما ورد في باب التجويد والحث عليه

بدأ العماني الباب بتعريف التجويد ، والتحقيق ، ثم ما ورد عن بعض العلماء من الحث عليه ، وذكر عدداً من الصور النطقية التي يلزم القارئ الاعتناء بها ، ثم عرَّف الصوت ، والحرف ، والحركة ، والكلمة ، وهذا بيان لهذه الموضوعات :

أ. تعريف التجويد والتحقيق:

قال العماني: « اعلم أنَّ التجويد حِلْيَةُ التلاوة وزينةُ القراءة ، وهو إعطاء الحروف حقوقها ، وترتيبها مراتبها ، ورَدُّ الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه وأصله ، وإلحاقه بنظيره ، وإشباع لفظه ، ولطف النطق به ، لأنه متى كان غيرَ ما حكيتُ من وصفه زال عن تأليفه ورصفه . وليس بين التجويدِ وتَرْكِهِ إلا رياضةُ مَنْ تَدَبَّرَهُ بِفَكِّهِ... »(١).

والتحقيقُ رياضةُ الألْسُنِ ، وتحقيقُ الألفاظ ، وإعطاءُ كل حرف حَقَّه من المد والهمز ، والتمكين للهمز ، وألاَّ يَسْتَلَّ الحرف من حيِّزه ، ولا يَمْذَقَهُ صوتَ مُنَاسبِه ، لِيُؤْمَنَ عند ذلك تحريكُ الساكن ، واختلاس حركة المتحرك ، إلاَّ في ما جوَّز بعضهم من الاختلاس في بعض الحروف ، ونذكره بعد ، وأن يُؤْتَى بالحرف على حقه في النطق به ، لا زيادة فيه ولا نقصان(٢).

ونقل العماني ثلاثة أقوال في الحث على التجويد عن عدد من علماء القراءة الأوائل ، وهي:(٣)

---

(١) أورده الداني في التحديد (ص٦٨).

(٢) الكتاب الأوسط ص٧٢.

(٣) الكتاب الأوسط ص٧٣.

١. قول حمزة بن حبيب الزيات (ت١٥٦هـ) لرجل قرأ عليه فكان يفرط في المد والتشديد: « أمَا علمتَ أنَّ ما فوق البياض بَرَصٌ، وأنَّ ما فوق الجعودة قَطَطٌ، وأنَّ ما فوق القراءة فليس بقراءة ؟ »[(١)].

٢. قول نافع بن أبي نعيم المدني (ت١٦٩هـ) : « قراءتنا قراءة أكابر أصحاب رسول الله – ﷺ – سَهْلٌ جزلٌ ، لا نمضغُ ولا نلوك ، نَنْبِرُ ولا نَنْتَهِرُ ، نُسَهِّلُ ولا نشدِّدُ ، نقرأُ على أفصح اللغات وأمضاها »[(٢)] .

٣. قول عبد الرحمن بن عَبْدُوس ، أبو الزعراء البغدادي لتلميذه ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ): « إن كنتَ تقرأ عليَّ فأعطِ الحرفَ حقَّهُ ... » .

ب. الصور النطقية التي يلزم القارئ الاعتناء بها:

قال العماني: « ومن التجويد أن :

يتأملَ القارئ حال الهمزة ، فيأتي بها سهلة في الذوق من غير لَكْزٍ ...

ويُبَيِّنَ اللامَ من ﴿ أَنزَلْنَآ ﴾ [البقرة: ٥٧]... ونحوها لئلا يندغم في النون.

ويُبَيِّنَ الواو والياء المتحركتين في نحو: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ ﴾ [الأعراف : ١٩٩]... وإن سكنت الواو وانضم ما قبلها .. وجب تمكين الواو ...

ويُظْهِرَ إطباق الصاد مع الطاء في قوله:﴿ وَٱصْطَبِرْ ﴾ [مريم: ٦٥] ... ولا يخلطَ الزايَ الساكنة التي بعدها دال بالسين ...

ويُبَيِّنَ الدال مع النون في نحو قوله: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ ﴾ [الحجر: ٩٧] ...

ويُبَيِّنَ الضاد مع التاء في نحو: ﴿عَرَّضْتُم ﴾ [البقرة: ٢٣٥] ...

---

(١) ذكره السعيدي في كتاب التنبيه على اللحن (ينظر: رسالتان في تجويد القرآن ص٢٩).

(٢) نقله الداني في التحديد (ص١٩) ، وفيه: ننبر ولا ننتهر .

وكذلك الظاء مع التاء نحو: ﴿ أَوَعَظْتَ ﴾ [الشعراء: ١٣٦] ...

وكذلك الطاءُ الساكنةُ إذا أُدغمت في التاء ، فلا يُخِلُّ بصوت الإطباق منه ، وإن كانت مدغمة كقوله: ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ ﴾ [المائدة: ٢٨] .

ويُبَيِّنَ الواوَيْنِ إذا تحركتا نحو ﴿وَوَرِثَهُۥٓ﴾ [النساء:١١] ...

ويُشْبِعَ الياء والواو الشديدتَيْنِ عند أُخْتَيْهِمَا ، نحو: ﴿ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ﴾ [الأنعام:٥٢] ، و ﴿عَدُوٌّ وَلَكُمْ﴾ [البقرة:٣٦] .

ولا يُدْغِمَ الغين من قوله: ﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ [آل عمران: ٨] ، ولا يُفرِطَ إظهاره فيدعو إلى الحركة .

وإذا اجتمع الحرفان من حروف الحلق فَصَلَ أحدهما عن الآخر ، ولا يكون ذلك إلا بضرب من التكلف ...

ويُبَيِّنَ الواو من ﴿دَاوُۥدَ﴾ ، ﴿ يَلْوُۥنَ ﴾ [آل عمران: ٧٨] من غير إخلال ولا همز ، وكذلك الياء في قوله: ﴿ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾[النساء: ١١] و﴿ٱلْحُسْنَيَيْنِ ﴾ [التوبة: ٥٢] .

ويُبَيِّنَ الحاء في قوله ﴿فَسَبِّحْهُ﴾ [ق: ٤٠] ، واللام من قوله: ﴿غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣] .

وإذا تأمَّلَ القارئُ ما قلتُه تَنَبَّهَ له ، وقاسَ عليه غيرَه » (١).

وبعد أن انتهى أبو محمد العماني من ذكر هذه الصور النطقية أشار إلى تفاضل القراء في معرفة التجويد، ثم ذكر انقسام اللحن إلى جليٍّ وخفيٍّ ،

---

(١) الكتاب الأوسط ص٧٣-٧٥ .

وذلك قوله: « والناس يتفاضلون في العلم بالتجويد، فمنهم من يعرفه قياساً وتمييزاً، فذلك الحاذق الفطن، ومنهم مَن يعرفه سماعاً وتقليداً، والعلم فطنةً ودرايةً آكَدُ منه سَماعاً وروايةً[1].

واللحنُ في القرآن لحنانِ: جَلِيٌّ وخَفِيٌّ ، فالجليُّ لحنُ الإعراب البَيِّنُ ، والخفيُّ تركُ إعطاءِ الحروفِ حقوقها[2] »[3].

وختم العماني هذا الموضوع بذكر أهمية معرفة مخارج الحروف وصفاتها وأنواعها للتمكن من التجويد، وذلك قوله: « والذي ذكرتُهُ من التجويد والأداء غيرُ ممكن إلا بعد المعرفة بالحروف ومخارجها ومدارجها، المؤتلف منها والمختلف ، في المناسبة والممازجة ، والوقوف على حَدِّ كل حرف ، من الجهر والهمس والرخاوة والإطباق والاستعلاء والصفير والمد واللين والإدغام والتشديد، ليعلم مواضع الإدغام من الإبراز، والمد والتقصير، والإشباع والإرسال ، وأنا ذاكرٌ ما يحضرني من ذلك ومُبَيِّنٌ ، في باب يَرِدُ عليك بعدُ ، إن شاء الله»[4].

ج – التعريفات

اعتنى أبو محمد العماني بتعريف عدد من المصطلحات الخاصة بعلم الصوت ومفردات اللغة وتراكيبها، فذكر في فصل منفرد تعريف الصوت،

---

(١) ورد في نص أطول نقله مكيٌّ في الرعاية (ص٨٩)، والداني في مقدمة كتابه التحديد (ص٦٧) .

(٢) أصل هذا القول لابن مجاهد (ينظر: الداني: التحديد ص١١٦) ونقله السعيدي من غير عزو (ينظر: رسالتان في تجويد القرآن ص٢٧).

(٣) الكتاب الأوسط ص٧٥.

(٤) الكتاب الأوسط ص٧٥-٧٦.

والحرف، والحركة، والكلام، وقال في أوله: « اعلم أن الكلام مبني من الحروف ، والحرف مُوَلَّدٌ من الصوت ، فأول ما يجب علينا تبيينه والكشف عنه الصوت »(١). وأطال في الحديث عن الصوت والحرف في اللغة واستعمال العرب لهما.

ونقل العماني تعريف ابن جني للصوت والحرف، وتشبيهه الحلق والفم عند النطق بالحروف، من غير أن يصرح باسمه، واكتفى بقوله:(قال بعضهم)(٢)، وأشار إلى حاجة ذلك الكلام إلى بيان ، وقال: « وأنا أُبَيِّنُهُ بياناً لا يخرج الفهمُ عنه، إن شاء الله، اعلم أن الصوت مَنْشَؤُهُ من الصدر، وهو نَفَسٌ يرتفع إلى الحلق، فيستطيل ويمتد حتى يَحْصُرَهُ بعض المقاطع، فينحصر هناك، فإذا حَصَرَه مقطع تولَّد منه حرف ، فأنت إذا أطلعتَ النَّفَس من صدرك، ثم ثناه حَيِّزٌ سمعتَ له جرساً، فإن انتقلت منه إلى حيِّز آخر سمعت جَرْساُ آخر، فالصوت هو الذي يستطيل، والمقطع الذي يثنيه عن الامتداد هو الحرف »(٣).

وعناية العماني بتعريف الصوت وتحديد كيفية إنتاجه، بغض النظر عن مقدار الدقة في إدراك تفاصيل العملية النطقية ، وربط الحروف بالصوت، أمر يدل على فهم صحيح للغة والنظر إلى قراءة القرآن الكريم باعتبارها نشاطاً صوتياً وصورة من صور النطق العربي.

(١) المصدر نفسه ص٧٦.

(٢) ينظر: الكتاب الأوسط ص ٧٦ ، وسر صناعة الإعراب ١/٦و٩.

(٣) الكتاب الأوسط ص٧٦.

ثانياً: ما ورد في باب المخارج والصفات

يمكن تقسيم ما ورد في هذا الباب على قسمين: الأول للمخارج والثاني للصفات.

أ- مخارج الحروف عند العماني

عدد حروف العربية عند العماني تسعة وعشرون حرفاً ، أما عدد مخارجها فقد ذكر اختلاف العلماء فيه ، فذكر مذهب الخليل ، ثم مذهب سيبويه ، ثم مذهب الجَرْمِيِّ ومَن وافقه.

أما مذهب الخليل بن أحمد فالمخارج عنده تسعة ، قال العماني: « وكان الخليل بن أحمد يَقْسِمُ المخارج على تسعة أقسام: الحَلْقُ واللهاةُ والشَّجْرُ والأَسَلَةُ والنِّطْعُ واللِّثَةُ والذَّوْلَقُ والشَّفَةُ والهواء »[1] ، ولعل العماني أول عالم حدَّد مخارج الأصوات عند الخليل على هذا النحو ، فإن من تقدمه ومن جاء بعده كانوا يتابعون ما ورد في العين من تلقيب الحروف بحسب ما وصفها به الخليل ، فيقولون: الحلقية ، واللهوية ، والشجرية...إلخ[2].

وعاد العماني إلى تفصيل المخارج بنسبة الحروف إلى تلك المواضع التي حددها ، على نحو ما فعل غيره ، لكنه حرص على أربعة أشياء في تحديد كل مخرج من المخارج التسعة هي:

١. ذكر الموضع.
٢. ذكر الحروف التي تخرج منه.
٣. تفسير دلالة الموضع.

---

(١) الكتاب الأوسط ص٨١.

(٢) ينظر: العين ١/٥٨ ، ومكي: الرعاية ص١٣٩-١٤٢.

٤. نسبة الحروف إليه.

وأكتفي بنقل مثالين مما أورده العماني:

« الأَسَلَةُ: ص س ز ، هي أَسَلِيَّةٌ ، والأَسَلَةُ مُسْتَدَقُ اللسان وهو طرفه وحَدُّهُ ، وقد يقال لهذه : لثوية.

النِّطْعُ: ط د ت، هذه نِطْعِيَّة، والنِّطْعُ الغار الأعلى وهو سقف الفم»[١].

وقال العماني بعد أن فصَّل مذهب الخليل في المخارج: « فهذا عددُ المخارج على ترتيب الخليل ، ثم اختلف النحويون بعدُ في مخارجها على غير ترتيب الخليل.

فكان سيبويه يجعل للحروف ستة عشر مخرجاً.

وكان الجرمي وابن كيسان يجعلان لها أربعة عشر مخرجاً[٢].

وليس الخلاف بينهم إلا في الراء واللام والنون، وذلك أن سيبويه جعل لكل واحد منها مخرجاً، والجرمي ومن وافقه جعلوهن من مخرج واحد»[٣].

ثم عقد العماني عنواناً جاء فيه: (ترتيب المخارج على ما ذكره ابن مجاهد ، وهو مذهب سيبويه وأكثر النحويين)[٤]. ولم أقف في كتب علم التجويد التي اطلعت عليها ولا في غيرها من كتب القراءات واللغة على مَن نسب إلى ابن مجاهد مذهباً في المخارج ، ولعل بعضاً من كلام ابن مجاهد في المخارج والصفات قد ذهب ، وهو متابع في ما ذهب إليه في المخارج سيبويه،

(١) الكتاب الأوسط ص٨١.

(٢) ذكر الداني الفراء وقطرباً مع القائلين بهذا المذهب (ينظر: التحديد ص١٠٤).

(٣) الكتاب الأوسط ص٨٣و٩٠.

(٤) المصدر نفسه.

الذي اعتاد كثير من علماء التجويد الاعتماد عليه في ذكر المخارج ، على نحو ما قال الداني: « وأنا أذكر ذلك على مذهب سيبويه خاصة ، إذ هو الصحيح المعوَّل عليه » (١).

ويبدو أن تلامذة ابن مجاهد ومن أخذ عنهم بلغ بهم الإعجاب بشيخهم ومتابعيه في ما ذهب إليه مبلغاً جعلهم ينسبون إليه ما كان يرويه عمن سبقه ، كما في قضية المخارج.

و لم يكتف العماني بنقل عبارات سيبويه في تحديد المخارج ، فكان يشرح حدود المخرج ، وقد يرتب حروف المخرج الواحد ، ويذكر مصطلح الخليل في وصف حروف كل مخرج ، وزاد بعض العبارات وغيَّر أُخرى في بعض المخارج ، ولا يتسع المقام لتتبع ما قاله في كل مخرج ، وسوف أكتفي بذكر مثالين على ذلك(٢).

المثال الأول: قوله في مخرج حروف الصفير: « ثم من طرف اللسان إلى فَجْوَةٍ بينه وبين أطراف الثنايا العُلَى مخرج الصاد والسين والزاي ، وهن حروف الصفير » (٣).

والمثال الثاني: قوله في مخارج الشفتين:

« ثم من الشفة السفلى وأطراف الثنايا العُلى مخرجُ الفاء.

ثم من الشفتين مخرج الباء والميم.

والفاء والباء والميم تسمَّى الحروف الشفوية ، لأن الشفة تجمعها ، وإن

(١) التحديد ص١٠٢.

(٢) ينظر التفاصيل: الكتاب الأوسط ص٨٣-٨٨.

(٣) الكتاب الأوسط ص٨٧.

كانت الفاء تختص بمخرج.

والباء أقرب الحروف إلى الميم ، لأنهما من مخرج واحد ، والفاء تجاورهما، وهي من مخرج آخر...

ثم الواو تخرج من بين الشفتين ، وينقطع آخرها عند مخرج الألف ، ولها مخرج بذاته[١] »[٢].

وختم العماني حديثه عن المخارج بتقسيمها على مجارٍ وأحياز فقال : « فهذه جملةُ مخارج الحروف ، وهي ستة عشر مخرجاً.

وللحروف مجارٍ ، فالمجرى الأول الحلق ، وله ثلاثة مخارج ، والمجرى الثاني الشفة ، ولها أربعة أحرف ، من ثلاثة مخارج ، وسائر الحروف كلها للفم واللسان.

فأما الأحياز فهي بعدد الحروف ، لأن كل حرف من حيِّز[٣] ، ولا يجتمع الحرفانِ في حيِّز ، كما لا يجتمع جسمانِ في محل ، ومنهم من يسمي الأحياز مدارج »[٤].

ب. صفات الحروف عند العماني

ذكر العماني أهم صفات الحروف ، وبدأ بذكر الصفات الرئيسة التي

---

(١) ذهب المهدوي إلى إفراد الواو بمخرج مستقل أيضاً (ينظر: شرح الهداية ص٢٦٩).

(٢) الكتاب الأوسط ص٨٧.

(٣) وهذا يخالف ما ذهب إليه الخليل بن أحمد من جعله الحيِّز مرادفاً للمخرج (ينظر: العين ٥٨/١) والقول بأن لكل صوت مخرجاً غير مرضي عند جمهور العلماء (ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص١٥٧-١٥٨).

(٤) الكتاب الأوسط ص٨٨.

تنضوي تحتها كلُّ حروف العربية، ثم ذكر الصفات التي انفرد بها حـــرف أو عدد من الحروف ، وفصَّل في الأوُلى وأوجز في الثانية.(١).

والصفات الرئيسة عند العماني: المهموســة والمجهــورة، والــشديدة والرخوة، والإطباق والاستعلاء.

والصفات الأخرى التي ذكرها العماني: المتفشي، والقلقلة، والمكرر، والمنحرف، والغنة، والصفير، وذكر العماني معها الحروف الزائدة، وهي صفة ليست صوتية.

وليس هناك ما هو جديد في هذه الصفات التي ذكرها العماني ، لكنه حاول توضيح بعض تلك الصفات بأكثر مما هو معروف في المــصادر الــتي سبقت تأليف الكتاب الأوسط ، خاصة ما يتعلق بتعريف المجهور والمهموس ، والاستعلاء ، ولا يتسع المقام للدخول في تفصيل جزئيات هذه التعــاريف ، وسوف أكتفي بنقل ما قاله في صفة الاستعلاء.

قال العماني: « وحروف الاستعلاء سبعة: الصاد والضاد والطاء والظاء والخاء والغين والقاف، وسُمِّيَتْ بذلك لاعتلائها في الفم عند النطــق، ولأن اللسان يستعلي فيها إلى الحنك، إلا أن فيها ما يستعلي ثم ينطبق، وفيها مــا يستعلي ولا ينطبق ، فمن حروف الاستعلاء أربعة مطبقة ، وثلاثة مستعلية غير مطبقة ، والسبعة الأحرف بأجمعها حروف الاستعلاء »(٢).

---

(١) ينظر: الكتاب الأوسط ص٨٨-٩٠.

(٢) الكتاب الأوسط ص٨٩.

المبحث الثالث

الدلالة التاريخية لمادة باب التجويد في الكتاب الأوسط

مضى على تأليف الكتاب الأوسط في القراءات للعماني أكثر من ألف سنة، ولا يزال يحتفظ بقيمته العلمية، بالإضافة إلى أهميته من ناحية الدلالة التاريخية على نشأة علم التجويد، وتتركز المادة التي تهمنا في هذا المبحث في باب (التجويد والحث عليه)، وباب الحروف ومخارجها وألقابها، وهناك معلومات متناثرة في الأبواب الأخرى ، مثل الإدغام ، والمد والقصر، والهمز، والإمالة، لها علاقة ببعض موضوعات علم التجويد، لكن هذا البحث ليس موضوعاً لتتبع المادة العلمية في الكتاب ومناقشتها، بقدر ما يهدف إلى تحديد موقع الكتاب في تاريخ علم التجويد، وصدى مادته العلمية في المصادر التي أُلفت بعده في هذا العلم.

أولاً: الكتاب الأوسط ونشأة علم التجويد

لم يكن هناك كتاب يحمل في عنوانه مصطلح (التجويد) في الحقبة التي ظهر فيها الكتاب الأوسط سنة ٤١٣هـ ، بل حتى مصطلح التجويد لم يكن قد اشتهر في كتابات علماء القراءة المهتمين بموضوعه في ذلك الوقت.

إن علم التجويد تأخر في الظهور نحو قرنين من الزمان بعد ظهور الكتب الجامعة في علم القراءات ، واللغة العربية ، لكن المادة العلمية التي دار حولها هذا العلم كانت جزءاً من تلك الكتب ، فأقدم كتاب وصل إلينا في قواعد اللغة العربية ، وهو كتاب سيبويه (ت١٨٠هـ) يتضمن باباً كبيراً عن مخارج

الحروف وصفاتها والظواهر الصوتية المتعلقة بها(1). وأقدم كتاب جامع وصل إلينا في القراءات هو كتاب السبعة لابن مجاهد (ت٣٢٤هـ) الذي تضمن إشارات إلى عدد من موضوعات علم التجويد ، لكنه لم يتضمن أهم نص منقول عن ابن مجاهد في هذا الصدد، وهو قوله: « اللحن في القرآن لحنان: جَلِيٌّ وخفي، فالجلي لحنُ الإعراب، والخفي ترك إعطاء الحرفَ حَقَّهُ من تجويد لفظه »(2)، وهذا أقدم نص وردت فيه كلمة التجويد بمعناها المتعلق بحسن الأداء وتحبير القراءة، في ما اطلعت عليه من مصادر .

وانتهى التقدم العلمي الكبير في مجال دراسة اللغة العربية والقراءات القرآنية في القرنين الثاني والثالث الهجريين إلى ترسيخ قناعة لدى العلماء المهتمين بقراءة القرآن بضرورة إفراد الموضوعات المتعلقة بالنطق وحسن الأداء، مثل مخارج الحروف وصفاتها والظواهر الصوتية الناتجة عن التركيب، بكتب خاصة بها ، وشهد القرن الرابع ميلاد علم جديد يحقق ذلك الهدف، وهو علم التجويد.

ويمكن الوقوف عند عدد من الأعمال العلمية التي تندرج ضمن علم التجويد سبقت تأليف العماني كتابه الأوسط سنة ٤١٣هـ ، وهي:

(١) قصيدة أبي مزاحم الخاقاني:

كان أبو مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى الخاقاني (ت٣٢٥هـ) معاصراً لابن مجاهد ، ونظم قصيدة في حسن أداء القرآن ، ومطلعها:

---

(١) ينظر: الكتاب ٤/٤١٣-٤٨٥.

(٢) ينظر: الداني: التحديد ١٦٦.

أقول مقالاً معجباً لأُولي الْحِجْرِ ولا فخرَ إنَّ الفَخْرَ يدعو إلى الكِبْرِ

وهي في واحد وخمسين بيتاً ، عدَّها ابن الجزري أول مصنَّف في علم التجويد(١). ولم يرد في هذه القصيدة مصطلح (التجويد) ، واستخدم مكانه عبارة حسن الأداء فقد قال في البيت السابع عشر منها:(٢)

فقد قلتُ في حسنِ الأداء قصيدةً رَجَوْتُ إلهي أن يَحُطَّ بها وِزْرِي

وعارض قصيدة أبي مزاحم ثلاثة من علماء القراءة في القرن الرابع الهجري ، وهم:

١- محمد بن أحمد بن عبد الرحمن أبو الحسين الملطي (ت٣٧٧هـ) ، وقصيدته في تسعة وخمسين بيتاً ، ومطلعها:

أقولُ لأهلِ اللُّبِ والفضل والحِجْر مقالَ مُريدٍ للثواب وللأجرِ(٣)

واستخدم أبو الحسين الملطي في قصيدته فعل التجويد في البيت الخامس والعشرين ، وهو:(٤)

وكُنْ إنْ تَلَوْتَ الذِّكْرَ غير مُهَذْرِمٍ فَجَوِّدْ على رِسْلٍ بلا سَرَفِ العُذْرِ

٢- محمد بن أحمد بن محمد، أبو عبد الله اللالكائي العجلي (كان حياً سنة ٣٩٢هـ)، وتقع قصيدته في مئة وخمسة عشر بيتاً ، نقل منها ابن الجزري أربعة أبيات ، مطلعها:(٥)

---

(١) غاية النهاية ٢/٣٢١.

(٢) ينظر: أبحاث في علم التجويد ص٣٠.

(٣) ينظر: ابن الجزري: غاية النهاية ٢/٦٧.

(٤) ينظر: محمد عزير شمس: روائع التراث ص١٠٨.

(٥) غاية النهاية ٢/٨٦.

لكَ الحمدُ يا ذا المَنِّ والجُودِ والبِرِّ كما أنتَ أهلٌ للمحامِدِ والشكرِ

٣- محمد بن يوسف بن محمد ، أبو عبد الله الخراساني (كان في أواخر الأربع مئة) ، وقصيدته في نحو سبعين بيتاً ، نقل منها ابن الجزري خمسة أبيات ، ومطلعها:[١]

ألا إنَّ أَوْلَى القولِ في كل ما يجري فمَبْدَؤُهُ بالحمدِ لله والشكرِ

(٢) كتاب التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي للسعيدي:

عاش أبو الحسن علي بن جعفر بن محمد السعيدي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وتوفي في حدود سنة ٤١٠هـ[٢] ، وكتب السعيدي كتاباً في اختلاف القراء الثمانية[٣] ، لكن السعيدي وجد أن هذا الكتاب لا يتسع للحديث عن تجويد القراءة والتحذير من ظواهر اللحن الخفي، فأفرد لذلك رسالته (التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي).

ومع أن السعيدي لم يستخدم في عنوان هذه الرسالة كلمة التجويد، إلاَّ أنه ذكر في مقدمتها أن موضوعها هو تجويد القراءة، وذلك قوله: « سألتني – أسعدك الله بطاعته ، ووفقك لمرضاته – أن أصِفَ لك نُبَذاً من تجويد اللفظ بالقرآن... »[٤] . وتحدَّث السعيدي في هذه الرسالة عن اللحن الخفي وصوره التي يمكن أن يتزلق إليها اللسان في تلاوة القرآن.

(١) المصدر نفسه ٢/٢٨٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ١/٥٢٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ٢/٣٧٨ ، والنشر ٢/٤٢٦.

(٤) ينظر: رسالتان في تجويد القرآن ص٢٧.

وكان أول كتاب جامع معروف في علم التجويد هو كتاب (الرعاية لتجويد القراءة) لمكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) ، وكتاب (التحديد في الإتقان والتجويد) لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ) ، ولم يُعْرَفْ كتابٌ تناول علم التجويد بين كتاب السعيدي في التنبيه على اللحن ، وكتابي الرعاية والتحديد ، حتى ظهر الكتاب الأوسط في القراءات للعماني ، ليشكل حلقة في تأريخ التأليف في هذا العلم.

وتبرز أهمية (الكتاب الأوسط) في نشأة علم التجويد ورسم حدوده من خلال النقاط الآتية:

١. استخدام مصطلح التجويد ، ووضعه في عنوان الباب(١) ، ولعل هذه المرة هي المرة الأولى التي يحتل فيها هذا المصطلح هذا الموقع ، ولعل هذا الاستخدام مَهَّد لاستقلال هذا العلم في مؤلفات خاصة به ، وتكرر ذكر المصطلح في ثنايا الباب.

٢. تقديم تعريف اصطلاحي للتجويد، وهو قوله: « اعلم أن التجويد حلية التلاوة وزينة القراءة، وهو إعطاءُ الحروف حقوقها وترتيبها ومراتبها... »(٢).

٣. الربط بين علم التجويد وبحث مخارج الحروف وصفاتها ، فقد قال العماني: « والذي ذكرته من التجويد والأداء غيرُ ممكن إلا بعد المعرفة بالحروف ومخارجها ومدارجها ... »(٣) . وصارت دراسة مخارج الحروف

---

(١) الكتاب الأوسط ص٧٢: (باب في التجويد والحث عليه).

(٢) المصدر نفسه ص٧٢.

(٣) الكتاب الأوسط ص٧٥.

وصفاتها بعد ذلك جزءاً من موضوعات علم التجويد ، وأخذت موقع الصدارة فيها على نحو ما ورد في قول المرادي الذي ذكرناه من قبل.

٤. رصد العماني عدداً من الحالات النطقية التي يلزم القارئ العناية بها ، حتى لا يخرج فيها إلى اللحن[1]، وصارت هذه الحالات جزءاً من مسائل التجويد، وإن اختلفت طريقة عرضها في كتب التجويد التي ظهرت بعد ذلك.

وعلى القارئ أن يتذكر ، وهو ينظر في موقع مادة باب التجويد في كتاب العماني من نشأة علم التجويد ، أن علم التجويد في هذه الحقبة لم تتضح معالمه ، ولم تتحدد موضوعاته ، ولم تظهر مؤلفاته الخاصة به بعد ، ومن ثم فإن ما أنجزه العماني في الكتاب الأوسط يُعَدُّ خطوةً مهمة ولبنة أساسية في بناء صرح هذا العلم.

ثانياً: المادة العلمية في باب التجويد أصولها وتأثيرها

لعل أهم نصين وردا في (باب التجويد والحث عليه) هما ما يتعلق بتعريف التجويد ، وبتفاضل القراء في العلم به ، وسوف أكتفي بتتبع أصول هذين النصين عند العماني وأثرهما عند من جاء بعده من علماء التجويد.

(١) تعريف التجويد والتحقيق

بدأ العماني بتعريف التجويد والتحقيق ، ومن المفيد نقل هذا التعريف بنصه ، لأنه يمثل أقدم مصدر ورد فيه تعريف للتجويد ، ولموازنة هذا التعريف بما ورد في كتب التجويد اللاحقة ، قال العماني:

« اعلم أن التجويد حِلْيَةُ التلاوة وزينةُ القراءة، وهو إعطاء الحروف

(١) المصدر نفسه ص٧٣-٧٥.

حقوقها، وترتيبها مراتبها، وردُّ الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه وأصله، وإلحاقُهُ بنظيره، وإشباع لفظه، ولُطفِ النطق به، لأنه متى كان غيرَ ما حَكَيْتُ من وصفه زال عن تأليفه ورصفه.

وليس بين التجويد وتركه إلا رياضةُ من تدبَّرُهُ بفكِّهِ، قال الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل:٤]، يعني قَطِّعْهُ تقطيعاً ، وفَرِّقْهُ تفريقاً[١]، تقول العرب ثَغْرٌ رَتِلٌ إذا كان مفرَّقاً[٢]، والترتيل صفة من صفات التحقيق، وليس به.

والتحقيقُ رِيَاضةُ الألْسُنِ ، وتحقيقُ الألفاظ ، وإعطاءُ كُلِّ حرفٍ حَقَّهُ من المد والهمز ، والتمكين للهمز... وأن يُؤْتَى بالحرف على حَقِّهِ في النطق به، لا زيادة فيه ولا نقصانَ »[٣].

وإذا أردنا البحث عن أصول كلام العماني عن التجويد ، والترتيل والتحقيق في المصادر التي سبقته ، فإننا سنجد مقاطع منه ، في كلام بعض العلماء السابقين ، ومن هؤلاء أبو مزاحم الخاقاني ، فإنه قال في البيت الثاني عشر من قصيدته:[٤]

فذو الحِذق مُعْطٍ للحروف حقوقها إذا رَتَّل القرآن أو كان ذا حَدْرِ

---

(١) قال الطبري (جامع البيان ١٢٦/٢٩) : « وقوله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ بقوله جلَّ وعزَّ: وبَيِّنِ القرآن إذا قرأته تبييناً ، وترسل فيه ترسلاً ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ».

(٢) قال ابن منظور (لسان العرب ٢٨١/١٣): « الرَّتَلُ: حُسْنُ تناسق الشيء ، وثَغْرٌ رَتَلٌ ورَتِلٌ حسن التنضيد... ».

(٣) الكتاب الأوسط ص٧٢.

(٤) ينظر: أبحاث في علم التجويد ص٢٩.

ووجدت أحمد بن أبي عمر الأندرابي (ت٤٧٥هـ) نقل في كتابه (الإيضاح في القراءات) المقطع الأول من كلام العماني في تعريف التجويد ، منسوباً أبي الفضل محمد بن جعفر الخزراعي(ت ٤٠٨هـ) ، وهو : « وقال الشيخ أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي –رحمه الله: التجويد أفضل من الجوهر ، وأعزُّ عند العلماء من الكبريت الأحمر ، وهو حلية التلاوة وزينة القراءة ... وليس بين التجويد وتركه إلا رياضة من تدبره (بقلبه) ، وقال الله – عز وجل – مؤدباً لنبيه ﷺ وحاثّاً لأمته على الاقتداء به: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ يعني قَطِّعْهُ وفرِّقه تفريقاً » [1].

ولا يخفى على القارئ مقدار التطابق بين النصين ، سوى ما ورد من قول الأندرابي: (تدبره بقلبه) ، وهي عند العماني (تدبره بفكه) ، وليس لديَّ ما يُعَيِّنِ المصدر الذي أورد فيه الخزاعي كلامه السابق ، وعلى الرغم من عدم تصريح العماني بالمصدر الذي أخذ منه التعريف إلا أن تطابق النصين ، وتقدُّم الخزاعي عليه ، وهو من طبقه شيوخه يرجح عندي اعتماد العماني عليه في هذا المقطع من النص.

ويترجح عندي أن أبا عمرو الداني اعتمد على كلام العماني في تعريف التجويد ، على الرغم من أنه لم يصرح باسمه ، لأن سياق الكلام وتشابه العبارات يؤكد وجود علاقة بين كلام الرجلين ، اللهم إلا أن يظهر دليل يشير إلى أن كُلاً من العماني والداني أخذا من مصدر واحد ، وقد يكون ذلك المصدر هو كلام أبي الفضل الخزاعي ، لكن المنقول من كلامه هو فقرة

(١) الإيضاح ص٢٩١.

واحدة من ثلاث فقر يتألف منها كلام العماني ، وهي تتراءى في عبارات الداني ، على نحو ما يتبين من كلامه في الباب الذي خصصه لبيان معنى التجويد وحقيقة الترتيل والتحقيق.

قال أبو عمرو الداني: « واعلموا – أَيَّدَكُمُ الله بتوفيقه – أن التجويد مصدر جوَّدتُ الشيء ، ومعناه انتهاء الغايةِ في إتقانه ، وبلوغ النهاية في تحسينه ، ولذلك يقال: جوَّد فلان في كذا ، إذا فعل ذلك جيداً والاسم منه الجودة.

فتجويد القرآن هو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها ، وردُّ الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه وأصله ، وإلحاقه بنظيره وشكله ، وإشباع لفظه ، وتمكين النطق به على حال صيغته وهيئته ، من غير إسراف ولا تعسف ، ولا إفراط ولا تكلف ، وليس بين التجويد وتركه إلا رياضة من تدبره بفكه.

والترتيل مصدر رتَّل ... وهو صفة من صفات التحقيق وليس به ، لأن الترتيل يكون بالهمز وتركه ، والقصر لحرف المد ، والتخفيف ، والاختلاس ، وليس ذلك في التحقيق... »(١).

وعلى الرغم من أن الداني أعاد صياغة بعض العبارات وأضاف إليها بعض الكلمات إلاَّ أن الترابط بين كلام العماني والداني يظل واضحاً ، وقد اشتهرت هذه النصوص عند المتأخرين منسوبة إلى الداني ، وليس إلى الخزاعي أو العماني ، وذلك لشهرة مؤلفات الداني واندثار مؤلفات الآخَرَيْنِ.

---

(١) التحديد ص٦٨-٦٩.

ولعل بيان صدى تعريف التجويد الذي ذكره العماني، وأورده الداني، عند ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) خاتمة المحققين في علم القراءات ومؤلف أشهر الكتب في هذا العلم، يغني عن تتبع ذلك عند غيره، فكثير من المؤلفين في التجويد المتأخرين وشراح المقدمة الجزرية اعتمدوا على كلام ابن الجزري في تعريف التجويد.

نقل ابن الجزري تعريف التجويد والترتيل عن كتاب التحديد للداني بنصه، وصرح في بعض فقراته باسمه، فقال: « قال الداني: ليس بين التجويد وتركه إلا رياضة لمن تدبره بفكه »[1]. وكذلك نقل ابن الجزري كلام الداني المذكور في كتابه النشر، ولم يخف إعجابه به، فقال: « ولله دَرُّ الحافظ أبي عمرو الداني – رحمه الله – حيث يقول: « ليس بين التجويد وتركه إلا رياضة لمن تدبره بفكه ». فقد صَدَق وبَصَّرَ، وأوجز في القول وما قَصَّرَ، فليس التجويد بتمضيغ اللسان، ولا بتقعير الفم، ولا بتعويج الفك، ولا بترعيد الصوت... »[2].

وبلغ إعجاب ابن الجزري بذلك النص درجة كبيرة جعلته يضمنه في منظومته المشهورة بالمقدمة في ما على قارئ القرآن أن يعلمه، وتعاورته أقلام شراح الجزرية بعد ذلك بالتوضيح والتفصيل، قال ابن الجزري:[3]

٢٧. والأَخْذُ بالتجويدِ حَتْمٌ لازمُ   مَن لم يجوِّدِ القرآنَ آثِمُ

(١) التمهيد ص ٥٩.

(٢) النشر ٢١٣/١.

(٣) منظومة المقدمة ص١٧.

٢٨. لأنــه بــه الإلــهُ أنــزلا وهكــذا منــه إلينــا وَصَــلا

٢٩. وهو أيــضاً حِلْيَــة الــتلاوة وزينــــةُ الأداءِ والقــــراءةِ

٣٠. وهو إعطاءُ الحــروفِ حَقَّهَــا مِــن كُــلِّ صــفةٍ ومُــسْتَحَقَّهَا

٣١. وردُّ كــل واحــدٍ لأصــله واللفــظُ في نظــيرِهِ كَمِثْلِــهِ

٣٢. مكمَّلاً من غير مــا تكلُّــفِ باللُّطْفِ في النطــق بــلا تعــسُّفِ

٣٣. ولــيس بَيْنَــهُ وبَــيْنَ تَرْكِــهِ إلا رِيَاضَــةُ امْــرِئٍ بِفَكِّــهِ

ولعل القارئ يدرك من خلال ذلك مقدار ما تركه النص الــوارد في الكتاب الأوسط للعماني عن تعريف التجويد من أثرٍ في كتب التجويد المؤلفة بعده ، وسواء كان ذلك النص من وضع العماني ، أو نقله عن أبي الفــضل الخزاعي أو غيره فإن كتاب العماني اليوم يقدِّم مستنداً تاريخياً يرجع بتعريــف التجويد إلى مرحلة أقدم من عصر الداني ، رحمهم الله تعالى جميعاً.

(٢) تفاضل القراء في العلم بالتجويد

لفت نظري في باب التجويد الذي عقده العماني في كتابه الأوســط فقرة عن تفاضل القراء في العلم بالتجويد، كان كلٌّ من مكي والــداني قــد أورداها في كتابيهما: الرعاية والتحديد ، وبَقِيتُ في المبحث الذي كتبته سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م عن (نشأة علم التجويد) متردداً في نسبتها إلى أحدهما أو إلى مصدر أقدم منهما[١] ، ووجود هذه الفقرة في كتاب العماني تضع المسألة في إطار آخر.

---

(١) ينظر: أبحاث في علم التجويد ص٥٨.

قال العماني: « والناس متفاضلون في العلم بالتجويد ، فمنهم مَن يعرفه قياساً وتميزاً، فذلك الحاذقُ الفَطِنُ، ومنهم من يَعْرِفُهُ سماعاً وتقليداً، والعلمُ فِطْنَةً ودرايةً آكَدُ منه سماعاً وروايةً »[1].

وقال مكي: « وقد وَصَفَ مَن تقدَّمنا من علماءِ المقرئين من القــراء[2]، فقال: القراء يتفاضلون في العلم بالتجويد ، فمنهم من يعمله روايــة وقياســاً وتمييزاً، فذلك الحاذقُ الفطن، ومنهم من يعرفه سماعاً وتقليداً ، فــذلك الــوَهِنُ الضعيف، لا يلبث أن يَشُكَّ ويدخله التحريف والتصحيف، إذ لم يَــبْنِ علــى أصل، ولا نَقَل عن فهم.

قال: فنَقْلُ القرآنِ فطنةً ودرايةً أحسنُ منه سماعاً ورواية.

قال: فالرواية لها نقلها ، والدراية لها ضبطها وعلمها.

قال: فإذا اجتمع للمقرئ النقلُ والفطنة والدراية وَجَبَتْ له الإمامــة ، وصحت عليه القراءة ، إن كان له مع ذلك ديانة »[3].

وقال الداني في مقدمة كتابه التحديد: « وقُرَّاءُ القــرآن متفاضــلون في العلم بالتجويد والمعرفة بالتحقيق ، فمنهم من يعلم ذلك قياساً وتمييــزاً، وهــو الحاذق النبيه، ومنهم من يعلمه سماعاً وتقليداً، وهو الغَبِيُّ الفَهِيهُ، والعلم فطنــةً ودرايةً آكَدُ منه سماعاً ورواية، فللدرايةِ ضَبْطُها ونَظْمُهَا، وللروايةِ نَقْلُها وتَعَلُّمُهُا،

---

(١) الكتاب الأوسط ص٧٥.

(٢) في النسخة المطبوعة من الرعاية (ص٨٩): (من علماء المقرئين- الفراء) ، وذكــر المحقــق في الهامش أنها في الأصل: (علما المقرئين من القراء) ، وقد أثبتها كما وردت في مخطوطة الرعاية المحفوظة في مكتبة الأوقاف في الموصل ، رقمها (٢٢/٢ مدرسة الحجيات) الورقة ٨٤و.

(٣) الرعاية ص٨٩-٩٠.

والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم »[1].

وعلى الرغم من أن النصوص الثلاثة لا تتطابق حرفياً ، ففيها زيادة ونقصان ، وفيها تغيير بعض الكلمات ببعض ، فإن النص الذي ورد عند العماني ظهر في المصدرين الآخرين من دون تغيير كبير ، ويمكن أن نستنتج من ذلك أمرين في الأقل:

١. نَقَلَ كلٌّ من مكي والداني النص المذكور عن مصدر أقدم ، قد يكون العماني وقد يكون غيره.

٢. يعد الكتاب الأوسط للعماني أقدم مصدر ورد فيه هذا النص، ولكن يظل التساؤل حول قائله هل هو العماني، أو نقله العماني من مصدر سابق له، وكلا الاحتمالين وارد، ولكني أرجح في ضوء ما ورد في الرعاية والتحديد أن هناك مصدراً نقل عنه العلماء الثلاثة، لأن النص عند مكي جاء على نحو أطول مما ورد عند العماني، والله تعالى أعلم.

وهناك مسائل وتعريفات في الكتاب الأوسط لها تعلق بعلم التجويد ، وهي تستحق أن تُدْرَسَ ويُسَلَّطَ الضوء عليها، لكني أحسب أن ذلك يحتاج إلى مجال أوسع وسياق مختلف عن السياق الذي بنيتُ عليه هذا البحث، والله تعالى ولي التوفيق .

(١) التحديد ص٦٧.

الخاتـــمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، وعلى آله وصحابته ومن اتبع هداه ، وبعد

(١) فقد كشف هذا البحث عن حقائق تتعلق بنشأة علم التجويد في القرن الرابع الهجري ، ذلك القرن الذي شهد ميلاد هذا العلم ، لكن تفاصيل تلك الولادة لم تتضح بعد.

(٢) ظهر مصطلح (التجويد) في الكتاب الأوسط للعماني في عنـــوان أحـــد أبواب الكتاب ، وهو (باب التجويد والحث عليه) وهو يستخدم في ذلـــك لأول مرة ، وإن كان ورد في بعض النصوص السابقة عليه.

(٣) تضمن (باب التجويد) في الكتاب الأوسط موضوعات مهمة تتعلـــق بعلم التجويد ، مثل تعريف علم التجويد ، وعرض بعض الحالات النطقية التي يلزم قراء القرآن العناية بها ، لتجنب الوقوع في اللحن عند نطقها .

(٤) أكد العماني على أهمية معرفة دارس التجويد لمخارج الأصوات وصفاتها، وانتهى ذلك إلى جعل علماء التجويد هذا الموضوع في مقدمة الموضـــوعات التي يدرسونها في الكتب المؤلفة في علم التجويد .

(٥) كشف (باب التجويد) في الكتاب الأوسط أصول عدد من النصوص ، مثل تعريف التجويد ، وتفاضل الناس في العلم به ، وأظهر أن مكياً والـــداني نقلا تلك النصوص عن مصدر أقدم .

(٦) إن اكتشاف مخطوطة الكتاب الأوسط للعماني يبعث علـــى الأمـــل في إمكانية العثور على مصادر أُخرى في علم التجويد والقراءات وغيرهما مـــن

العلوم ، يُظَنُّ اليوم أنها مفقودة وليس لها مخطوطات باقية ، ولاشـــك في أن اكتشاف أي مصدر جديد ، لاسيما من مؤلفات القرون المتقدمة يـــؤدي إلى زيادة معرفتنا بكثير من الأفكار الجديدة ، ويرسم صورة أوضح لنشأة علـــم التجويد ، وغيره من العلوم .

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله رب العالمين .

المصادر

١. ابن الأثير (علي بن محمد): **اللباب في تهذيب الأنساب** ، مكتبة المثنى ، بغداد .

٢. الأندرابي (أحمد بن أبي عمر): **الإيضاح في القراءات** ، تحقيق منى عدنان غني ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية للبنات – جامعة تكريت ٢٠٠٢م .

٣. ابن الجزري (أبو الخير محمد):

أ. **التمهيد في علم التجويد** ، تحقيق غانم قدوري الحمد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م .

ب. **غاية النهاية في طبقات القراء** ، تحقيق برجشتراسر ، مكتبة الخانجي بمصر ١٩٣٢م – ١٩٣٣م .

ج. **منظومة المقدمة في ما على قارئه أن يعلمه** ، تحقيق د. أيمن رشدي سويد ، دار الإصلاح ، دمشق ٢٠٠٦م .

د. **النشر في القراءات العشر** ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

٤. ابن جني (أبو الفتح عثمان): **سر صناعة الإعراب** ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٧٤هـ = ١٩٥٤م .

٥. حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله): **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ، إستانبول ١٩٤١م .

٦. الخليل بن أحمد: **كتاب العين** ، تحقيق د. مهدي المخرومي ، ود. إبراهيم السامرائي ، دار الرشيد ، بغداد ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .

٧. الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد): **التحديد في الإتقان والتجويد** ، تحقيق د. غانم قدوري الحمد ، دار عمار ، عمان ١٩٩٩م – ١٤٢٠هـ .

٨. الذهبي (محمد بن أحمد): **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار** ، تحقيق د. طيار آلتي قولاج ، إستانبول ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م .

٩. زكريا الأنصاري (القاضي شيخ الإسلام): **المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء** ، دار المصحف ، ط٢ ، دمشق ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .

١٠. السجاوندي (محمد بن طيفور): **كتاب الوقف والابتداء** ، تحقيق د. محسن هاشم درويش ، دار المناهج ، عمان ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م .

١١. السخاوي (علم الدين علي بن محمد): **جمال القراء وكمال الإقراء** تحقيق د. علي حسين البواب ، مكتبة التراث مكة المكرمة ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م .

١٢. السعيدي (علي بن جعفر): **رسالتان في تجويد القرآن** تحقيق غانم قدوري الحمد ، دار عمار ، عمان ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م .

١٣. سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان): **الكتاب** ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م .

١٤. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر): **الإتقان في علوم القرآن** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة المشهد الحسيني ، القاهرة ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م .

١٥. صفي الدين البغدادي (عبد المؤمن بن علي): **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع** ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م .

١٦. الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير): **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، ط٣ ، مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م .

١٧. العماني (أبو محمد الحسن بن علي بن سعيد المقرئ):

أ) **الكتاب الأوسط في علم القراءات**، تحقيق د. عزة حسن ، دار الفكر ، دمشق ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م .

ب) **المرشد في الوقف والابتداء** (محقق في رسالتي ماجستير) : من أول الكتاب إلى آخر سورة النساء ، تحقيق هند بنت منصور بن عون العبدلي ، ومن أول سورة المائدة إلى آخر سورة الناس، تحقيق محمد بن حمود بن محمد الأزوري ، كلية الدعوة وأصول الدين في جامعة أم القرى ١٤٢٣هـ.

١٨. عمر رضا كحالة: **معجم المؤلفين** ، المكتبة العربية ، دمشق ١٩٥٧م .

١٩. غانم قدوري الحمد:

أ. **أبحاث في علم التجويد** ، دار عمار ، عمان ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م .

ب. **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** ، دار عمار ، عمان ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م .

٢٠. محمد عزير شمس: **روائع التراث** (مجموعة تضم نوادر التراث العربي) الدار السلفية.

٢١. المرادي (الحسن بن قاسم):

أ. **شرح الواضحة في تجويد الفاتحة** ، تحقيق د. عبد الهادي الفضلي ، دار القلم ، بيروت.

ب. **المفيد شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد** ، تحقيق د. علي حسين البواب ، مكتبة المنار ، الزرقاء ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

٢٢. مكي بن أبي طالب القيسي: **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة** ، تحقيق د. أحمد حسن فرحات ، ط٣ ، دار عمار ، عمان ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.

٢٣. المهدوي (أحمد بن عمار): **شرح الهداية** ، تحقيق د.حازم سعيد حيدر ، دار عمار ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.

٢٤. وليد بن أحمد الحسين الزبيري وزملاؤه: **الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة** ، سلسلة مطبوعات مجلة الحكمة ، المدينة المنورة ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

٢٥. ياقوت بن عبد الله الحموي : **معجم البلدان** ، دار الفكر ، بيروت .

فهرس الموضوعات

الملخص ١٦٥

مقدمة ١٦٦

المبحث الأول : تعريف بالعماني مؤلف الكتاب الأوسط ١٦٨

أولاً: العماني من خلال المصادر........ ١٦٨

ثانياً: العماني من خلال الكتاب الأوسط في القراءات........ ١٧١

المبحث الثاني : موضوعات التجويد في الكتاب الأوسط ١٧٩

أولاً: ما ورد في باب التجويد والحث عليه ١٨٢

أ) تعريف التجويد والتحقيق ١٨٢

ب) الصور النطقية التي يلزم القارئ الاعتناء بها ١٨٣

ج) التعريفات ١٨٥

ثانياً: ما ورد في باب المخارج والصفات ١٨٧

أ) مخارج الحروف عند العماني ١٨٧

ب) صفات الحروف عند العماني ١٩٠

المبحث الثالث : الدلالة التاريخية لمادة باب التجويد في الكتاب الأوسط ١٩٢

أولاً: الكتاب الأوسط ونشأة علم التجويد ١٩٢

من الأعمال العلمية المندرجة ضمن علم التجويد السابقة لتأليف كتاب الأوسط ١٩٣

ثانياً: المادة العلمية في باب التجويد أصولها وتأثيرها ١٩٧

(١) تعريف التجويد والتحقيق ١٩٧

(٢) تفاضل القراء في العلم بالتجويد ٢٠٢

الخاتـــمة ٢٠٥

المصادر ٢٠٧